



التعايش وقبول الآخر وفق المنهج الإسلامي

محمد بن علي المكتومي

يتحدث الكاتب رضوان السيد في مقالة «مسألة التسامح في كتابات العرب المحدثين والمعاصرين» عن مسألة حساسة جداً أصبحت تؤرق الكثير من المجتمعات والدول خصوصاً العربية، بل وتسبب في نزاعات حادة تعود لقضايا سياسية ودينية جاءت كلها بسبب الفهم الخاطئ في التعامل مع الآخر المختلف ديناً. ويؤكد الكاتب في هذا المقال على التعامل مع المسيح على وجه الخصوص، ويذكر أربع إضاءات مُشرقة في التاريخ الإسلامي، وتعامل الرسول مع أهل الكتاب في أحداث رائعة عززت الروح الإنسانية وقيم التسامح لدى المسلم في تعامله وسلوكه المجتمعي.

قتل كافر في ظل قوتهم وكثرتهم وقلة المسلمين وضعفهم بداية الدعوة الإسلامية؛ إذ في هذه المادة خلل قانوني وهضم لحقوق الآخر وغياب الحماية عنه في حالة الاعتداء عليه. أما الشبهة الأخرى في مواد الصحيفة، المادة التي نصها: «يجير عليهم أديانهم». هذا العرف كان عرفاً قبلياً في الجاهلية، وكان من يشمله هذا العرف هو الهارب من عقوبة جريمة ارتكبتها، ويعلم تماماً أن من يطلب منه العون ستترتب على قبيلته بأكملها المسؤولية في الدفاع عنه، وكان يمكن أن تؤدي هذه المادة إلى دخول الأمة في نزاع هي في غنى عنه لا يتناسب مع الهدف الذي قامت من أجله، وهذه المادة «عرف الإجارة» لا تركز على أساس قرآني ولم ينظمها الإسلام، فقط أشار إليها القرآن الكريم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو من يحق له التخويل بالإجارة في قوله تعالى: «وَأَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ»، أما أن يخول في ذلك رؤساء القبائل فكما أسلفت سيدخل الأمة -التي أسسها النبي- في صراعات مستمرة قد تضعف كاهلها. وأخيراً.. رغم كل المآخذ التي تؤخذ على بعض مواد الصحيفة، والتي أرى أنها قد تكون وضعت وحُرِّفت، أو أننا بحاجة لفهم عميق لمضمونها، فإن الصحيفة جاءت بدستور يؤسس لقيام أمة متكاملة تسودها أواصر الوحدة والانسجام، قائمة على مبدأ من العلاقات المجتمعية بصرف النظر عن الاختلافات الفكرية والعقدية.

Mohd22king@hotmail.com

ويختتم الكاتب مقاله بلفتة رائعة جداً؛ وهي: نص الصحيفة التي جاء بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- والتي تقوم على منهج متكامل من التعامل مع الكتاب وتشكل دستوراً سياسياً واجتماعياً وقانونياً لم تشهد البشرية مثله، دستور قائم على مبدأ من العلاقات المجتمعية بين المسلمين وغير المسلمين، هدفه أولاً وأخيراً بناء أمة متماسكة. ومن وجهة نظري أن الكاتب رضوان السيد قد وُفق في إيصال مضمون حديثه وفكرته حول مسألة التعايش وقبول الآخر، وفق منهج إسلامي صلب، أسسه الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، مبني على قوانين ودساتير لا تزال بعض الدول في العالم تبحث عنها، خصوصاً تلك التي تعاني من مسألة الأقليات، ولكن يبقى أن الكاتب لم يعمق فكرته جيداً، وتحدث بشكل عمومي في ظل وجود صراعات سياسية أساسها قائم على قبول الآخر؛ لذا لم نجد للكاتب أي تحليل فلسفي عميق لنص مواد الصحيفة؛ إذ نجد أن هنالك مواد لا يمكن الأخذ بصحتها وحتى الفقهاء والعلماء شككوا في مضمون ومواد الصحيفة ومسألة انقطاع السند وهو ما انعكس على المتن في محتواه. ومن هذه المواد مادة «ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافرًا في مؤمن»، والمتعمّن جيداً فيها يجد أنها لم تركز على أي نص قرآني؛ إذ النفس البشرية مقدّسة في القرآن الكريم بصرف النظر مُسلمة كانت أم كافرة، ومما يزيد من احتمالية أن هذه المادة قد أُلصقت بمواد الصحيفة هو أن الكفار ما كانوا ليقبلوها مادة تمتع المسلم بحق الحصانة فيما إذا

أول تلك اللفتات التاريخية لحظة هجرة بعض الصحابة إلى الحبشة، ولقاؤهم بملك الحبشة النجاشي مسيحي الدين، وخطاب جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- له، والذي أشار لبعض القيم التي كانت في سلوكياتهم الجاهلية، وتغيّرها جذرياً حينما بعث الرسول -صلى الله عليه وسلم- وموقف النجاشي من سماعه لقصة السيد المسيح وأمه، وخشوع قلبه لما تلى عليه من القرآن، إضافة إلى تأثير الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك بموت هذا الملك ووصفه «بأخ للمسلمين»، والصلاة عليه بعد موته.

أما اللفتة الثانية التي أشار إليها الكاتب؛ فهي: حديث وفد نجران، ومصالحة الرسول الكريم لأهلها، ومضمون القيم التي رسّخها النبي تجاههم من حفظ لدمائهم وأموالهم وملتهم. أما اللفتة الثالثة؛ فهي: موقف الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- في فتح مكة وأمره بإبقاء صورة السيدة مريم وابنها عيسى -عليهما السلام- على سارية الكعبة في مشهد جسّد روح قيمة التسامح الإسلامي واحترامه للآخر. أما الرابعة؛ فهي: لحظة فتح بيت المقدس، يوم أن كتبت العهدة العمرية، والتي تعد أنموذجاً للمعاهدات التي تراعي أحوال الناس في شتى المجالات، وجاءت لتؤمن على المسيحيين أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، مع دفعهم للجزية؛ مُنظماً بذلك شؤون الدولة -إن صح التعبير- في نسج متكامل من الوحدة والتلاحم لكل الأطياف قائماً على مبدأ من العلاقات الإنسانية والمجتمعية.



جميع المراسلات باسم: د. هلال الحجري
hilalalhajri@hotmail.com